توجيهات في فهم علم اللغة

مشفيك هندري

جامعة السلطان الشريف قاسم الإسلامية الحكومية رياو، اندونيسيا
muspikahendri@gmail.com

ملخّص

علم اللغة. هو دراسة اللغة على نحو علمي. وتدرس اللغة في إطار علم اللغة في المجالات الآتية : الأصوات, بناء الكلمة, بناء الجملة, المفردات ودلالتها. وبعد أن نفهم تعريف علم اللغة جيدا. واضح لنا عن العناصر الموجودة في علم اللغة. إذان كائن الدراسة في علم اللغة هي اللغة نفسها. ولعلم اللغة لها التسميات المختلفة فيما يلي : **أولا** فقه اللغة بمعنى علم اللغة المقارن, أو بمنعنى دراسة الألفاظ العربية. **ثانيا** علم اللغة بمعنى علم اللغة العام. **ثالثا** علم اللسان. **رابعا** اللغاويات محاكة للكلمة الإنجلزية. فاللغة : إنما هي المعنى التي تصاغ في قوالب من الألفاظ, وليست الألفاظ التى تصب فيها المعنى, فالأصل هو المعنى واللفظ إنما هو كشف للمعنى وإبراز, وهذا ينطبق عليه قو الشاعر العربي : إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا. العناصر التي تتكون منها اللغة. اللغة عناصر أربعة تتألف منها, ويرجع تحليل اللغة إليها وهي : ١. الأصوات : ويقصد بها الحروف التي تتكون منها الألفاظ أي الكلمات من حيث مخارجها, وصفتها, وقوانين تبدلها وتطورها, ومبث هذا العنصر : علم الأصوات والتحديد. ٢. الألفاظ : ويقصد بها الكلمات التي تتألف منها الجمل من حيث : إشتقاقها, وشكلها, ومعانيها, ومبحث هذا العنصر : علم الصرف, والمعاجم, وعلوم اللغة, و الإملاء, والخط. ٣. الجمل : ويقصد بها الجمل التي تتألف منها التراكب, وهي أيضا الجمل المفيدة اسمية كانت أم فعلية, من حيث : بناءها, وقواعد إعرابها, وتركيبها, وأنوعها, ومبحث هذا العنصر : علم النحو, والبلاغة. ٤. التراكيب : ويقصد بها العبارات التي تتضمن جملتين فأثر, كما يقصد بها تراكيب اللغة, ونظم الكلام, من حيث : تراكيب أجزاء الكلام, وطريقة ربط الكلام والأدوات الرابطة, ووظائف الكلمة في التركيب, وأحوا إعرابها, ونوعية الكلام (أدبي أو علمي) وطول الكلام وقصره وتعليل ذلك كله, وصلته بنفسية المتكلم وعقلية السامع, وتطور التراكيب خلال العصور وأسيايه. ومبحث ذلك : علم النحو, والبلاغة, والأدب. النظرية السلوكية Behavioral Theory والنظرية المعرفية العقلانية. وقد إرتبطت النظرية السلوكية بالنظرية البنيوية في إتجاه واحد يمكن أن نطلق عليه : الإتجاه السلوكي البنيوي. كما إرتبطت النظرية المعرفية بالنظرية التوليدية التحويلية في إتجاه. واحد يمكن أن نطلق عليه : الإتجاه المعرفي الفطري, وفيما يلي تعريف

بهذين الإتجاهين وعلاقة كل منهما اللغات الأجنبية. الإتجاه السلوكي البنيوي, الإتجاه السلوكي البنوي واكتساب اللغات الأجنبية, الإتجاه العرفي في الفطري.

الكلمات الرئيسية: التوجهات، فهم علم اللغة

المقدمة

إن تعلم علم اللغة ليس بالأمر السهل و الهين. لكنه في البحث والدراسة أن يهتما التوجيهات التي توجد في علم اللغة. قبل أبحث هذه المادة و با الأحسن ان نعرف أولا ما هو علم اللغة. هو دراسة اللغة على نحو علمي. وتدرس اللغة في إطار علم اللغة في المجالات الآتية: الأصوات, بناء الكلمة, بناء الجملة, المفردات ودلالتها. وبعد أن نفهم تعريف علم اللغة جيدا. واضح لنا عن العناصر الموجودة في علم اللغة. إذان كائن الدراسة في علم اللغة هي اللغة نفسها. ولعلم اللغة لها التسميات المختلفة فيما يلي: **أولا** فقه اللغة بمعنى علم اللغة المقارن, أو بمنعنى دراسة الألفاظ العربية. **ثانيا** علم اللغة بمعنى علم اللغة العام. **ثالثا** علم اللسان. **رابعا** اللغاويات محاكة للكلمة الإنجلزية. بعده نستمر إلى تعريف اللغة. هناك تعريفات كثيرة اللغة من آراء علماء الغة مثل عند إبن جنى : اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم, وفي كلمة الأخرى الألفاظ يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم. عند إبن خلدون : الغة هي عبارة المتكلم عن مقصوده, وتلك العبار فعل لساني ناشئة عن القصد.[١] وإستمرار البحث كيف نشأت اللغة وكيف نطق الإنسان الأول. وربما كان أعجب ما تحدثنا به الروايات أن عالما سويديا في القرن السابع عشر كان يؤكد لمستمعية في صورة جدية أن الرب في جنة عدن كان يتكلم اللغة السودية وأن آدم كان يتكلم اللغة و أن الحية كانت تتكلم اللغة الفرنسية.[٢] وأيضا من حيث نشأة الكلام للناس, حينما يستمع الطفل الكلمة التي تتكون من الأصوات من والديه ثم يتبعه الطفل مثل ذلك إلى إستطاعته في الكلام .

فروع علم اللغة

أشرنا في بداية الفصل إلى أن علم اللغة ينقسم قسمين أو فرعين أساسين هما : علم اللغة العام, أو علم اللغة النظري General/Theoretical Linguistic اللغة التطبيقي Applied Linguistics وأن كلا منهما يندرج تحته عدد من الفروع التي تتفرع أيضا إلى فروع صغيرة, وفيما يلي تعريف بهذين الفرعين الأساسين, وبيان لما يندرج تحت كل منهما من فروع.[٣]

---

[١] د. محمود فهمى حجازى, علم اللغة العربية مدخل تارخي مقارن, القاهرة و ص. ٩

[٢] د. إبراهيم أنيس, دلالة الألفاظ, مكتبة الأنجلو المصرية, ١٩٩١ ص. ١٤

[٣].العصيلي, النظريات اللغوية ةالنفسية وتعليم اللغة العربية

١. علم اللغة العام (النظري)

يعرف هذا العلم بأنه دراسة اللغة أي لغة دراسة نظرية وصفية تحليلية قائمة على أسس علمية ومناهج عامة, ويسعى إلى تطبيقها على دراسة ح اللغات جميعا, بصرف النظر عن فصائلها وتصنيفاتها العائلية, للخروج بنظرية لغوية عامة. وإذا أطلق مصطلح علم اللغة وحده, مجردا من أي وصف آخر فيقصد به عادة علم اللغة العام أو علم اللغة النظري. يشمل علم اللغة فرعا منها : علم اللغة التارخي, وعلم اللغة المقارن, وعلم اللغة الوصفي, وعلم اللغة الجغرفي, وفقه اللغة, وعلم الأصوات (النطقي والسمعي و الفيزيائي), وعلم وظائف الأصوات, وعلم الصرف, وعلم النحو, وعلم الدلالة, وعلم المعاجم وعلم اللغة التداولي.

٢. علم اللغة التطبيقي

ثمة جدل طويل حول تعريف هذا العلم, وحدوده, ومجالاته, وإستقلاله, وعلاقته بالعلوم الأخرى, والتفصيل في هذا الأمر يحتاج إلى بحث مستقل[٤]. لكننا توخيا للاختصار يمكن أن نعرفه qaبأنه : فرع من فروع علم اللغة, يعني بالجانب التطبيقي منها, ويستفيد من علوم شيئ ذات صلة بدراسة اللغة واكتسابها وتعلمها وتعليمها, ومن تلك العلوم : علم التربية, وعلم النفس, وعلم الإجتماع, وعلم دراسة الأجناس البشرية وتنوع الثقافات Anthropology وعلم اللغة الإثنى (العرقي) Ethnolinguistics, وعلم المعلومات Informasi Scienceوعلم الحاسب الآلي Computer Science وتقنيات التعليم Education Media ووسائل الإتصال Comunication Means وغيرها.

فعلم اللغة التطبيقي إذن يعنى بالجانب التطبيقي من اللغة, سواء كان التطبيق تعليما, وهو الغالب, أم كان غير تعليما, وهو الغالب, أم كان غير تعليم, وهو قليل, ويركز بوجه خاص على اكتساب اللغات الأجنبية وتعلمها وتعليمها. نشير هنا إلى نوع من التداخل بين بعض فروع علم اللغة العام وفروع علم اللغة التطبيقي, أي أن بعض هذه الفروع مشترك بين علم اللغة العام وعلم اللغة التطبيقي, بسبب تقارب في المصطلح أو في التطبيق. فعلم المعاجم (علم المفردات) مثلا, وهو علم نظري, قد يتداخل مع علم صناعة المعاجم الذي يعد علما تطبيقيا. وسواء ارتضينا الأول التصنيف الثاني في النظر إلى علم اللغة وفروعه, فإن هذا لا يغير من الأمر شيئا فيما يتعلق بتعليم اللغات. فميدان تعليم اللغة للناطقين بلغات أخرى في عصرنا الحاضر قد إستفاد من علم اللغة الحديث بجميع فروعه وميدانه النظري منها والتطبيقي. كما إستفاد من علوم أخرى, كعلم دراسة الأجناس البشرية وتنوع الثقفات, وعلم الإجتماع, وعلم النفس, ووعلم التربية, والثقافة الإسلامية, ومناهج البحث, وعلم الحاسوب, وعلم المعلومات, والإحصاء, والرياضيات.

[٤].للدكتور عبده الراجحي بحث مفصل حول هذا الموضع في كتابه : علم اللغة التطبيقي وتعليم اللغة العربية, مطابع جامعة الإمام محمد الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ

الإتجاهات اللغوية النفسية وتعليم اللغات

ظهر في العصر الحديث عدد من النظريات والإتجاهات التي تفاوتت في نظرتها إلى طبيعة اللغة, وأساليب تحليلها ودراستها, وطرائق إكتسابها وتعلمها وتعليمها. من أبرز هذه النظريات والإتجاهات نظريتان في علم اللغة هما : النظرية البنوية Structural Theory والنظرية التوليدية التحولية Generative Transformational Theory ونظريتان في علم النفس هما : النظرية السلوكية Behavioral Theory والنظرية المعرفية العقلانية. وقد إرتبطت النظرية السلوكية بالنظرية البنيوية في إتجاه واحد يمكن أن نطلق عليه : الإتجاه السلوكي البنيوي. كما إرتبطت النظرية المعرفية بالنظرية التوليدية التحويلية في إتجاه. واحد يمكن أن نطلق عليه : الإتجاه المعرفي الفطري, وفيما يلي تعريف بهذين الإتجاهين وعلاقة كل منهما اللغات الأجنبية.[٥]

١. الإتجاه السلوكي البنيوي

أ. النظرية السلوكية

النظرية السلوكية هي إحدى نظريات التعليم التي ظهرت في نهاية القران التاسع عشر وبداية القرن العشرين على يد العالم الروسي بافلوف Pavlov (١٨٤٩-١٩٣٦) الذي أجرى عددا من التجارب على الحيونات بهدف تحديد إستجاباتها لمثيرات معينة, طمعا في الوصول إلى نظرية بعامة في التعلم لدى الحيوان وسلوكه من خلال التحكم في المثيرات الشرطية, وإستنتج منها ما يعرف يقانون المثير و الإستجابة. ثم تبع بافلوف في هذا الإتجاه مجموعة من علماء النفس الأمركيين منهم جون ب واطسون John B. Waston (١٨٧٨-١٩٥٧), الذي تحمس في تطبيق نتائج هذه الدراسات التي أجريت على الحيوانات على السلوك الإنساني.

إستخلص هؤلاء السلوكيون وغيرهم من أنصار هذا الإتجاه قوانين متعددة, طبقت في مجالات التعلم الإنساني في المدرسة والمجتمع. من أهم هذه القوانين قانون التكرار وقوانين أثر التعلم والتعليم, وقوانين الحوافز والثواب والعقاب وقانون إنتقال الأثر الشرطي, وقانون انطفاء الأثر الشرطي. ثم ظهرت آثار هذه القوانين على المناهج المدرسية من حيث المحتوى والطريقة, وانعكست على تقسيم التحصيل الدراسي والجوانب الشخصية لدى الطلاب.[٦] ثم إتجهت مجموعة من علماء النفس السلوكيين في الولايات المتحدة الأمركية إلى تطبيق هذه القوانين على إكتساب اللغة وتعلمها وتعليمها لإعتقادهم أن إكتساب اللغة لا يختلف عن إكتساب أي سلوك آخر. وإكتساب الطفل لغته الأم في نظر هؤلاء يقول على تكوين عادات سلوكية, ويعتمد على التعزيز الإجابي الذي يلتقاه من والديه أو من معلميه أو من غيرهم من المحيطين به, كلما نطق نطقا سليما, كما

[٥] .لمزيد من الإطلاع على هذه الإتجاهات يمكن الرجوع إلى كتابنا : النظريات اللغوية والنفسية وتعلم اللغة العربية

[٦] جورج غازدا, وجموند كورسيني, نظريات التعلم, دراسة مقارنة, عالم المعلرفة, ١٤٠٤ ص ١٤٧-١٥٥

يعتمد في إستبعاد العادات السيئة على التعزيز السيلي الذي يتلقاه من هؤلاء عن طريق العقاب المباشر أو غير المباشر. فاللغة إذن عبارة عن مهارة تنمو عن طريق التعزيز الإجابي للإستجابات الصحيحة الذي يؤدي إلى زيادتها والتعزيز السلبي للإستجابات الخاطئة الذي يؤدي إلى طمسها ونسانها.[٧] بناء على ذلك إهتم السوكيون بالبيئة اللغوية المحيطة بالطفل بما في ذلك الولدان والمعلم والكتاب, معتقدين أن عقل الطفل صفحة بيضاء تسطر عليها البيئة ماتشاء, وأن هذه البيئة هي المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الطفل في إكتساب لغته الأم, مغفلين ما لديه من قدرات عقلية معرفية, وملكة لغوية خاصة به دون غيره من المخلوقات. وهذا لا يعنى بالضرورة أن السلوكيين لا يؤمنون بوجود العمليات العقلية ذات العلاقة باكتساب اللغة أو تعلمها, وإنما يعني أنهم ينظرون إليها بوصفها عمليات معقدة يستحيل قياسها وتحليلها.[٨]

ب. النظرية البنيوية الوصفية

أسس هذا الإتجاه ووضع قواعده اللغوي السويسري فردينان دي سوسير ونسب إليه على الرغم من وجود هذه الفاهيم والآراء لدى بعض معاصريه. لقد قامت على أساس من هذا الإتجاه الشكلي في التحليل اللغوي مناهج اللغوية أخرى. من هذه المناهج : التوزيعية التي تهتم بدراسة سلوك العنصر اللغوية (الفونيمات والمورفيمات والمقاطع و و الكلمات والعبارات والجمل) من خلال المواقع التى تحتلها في الكلام. ومنها منهج التحليل إلى المكونات المباشرة الذي يرى أصحابه أن الجملة نسق منظوم على نحو مخصوص, وأن فهم التراكيب اللغوية يقوم على فهم هذا النسق المنظوم. وتتم عملية تحليل الجملة في هذا المنهج من خلال تقسيم الجملة إلى أقسام أساسية, ثم تقسيم كل قسم إلى أقسام فرعية. فجملة : الولد الصغير حفظ القران مثلا : يمكن تقسيمها إلى مبتدأ (الولد الصغير) خبر (حفظ القران), وتقسيم المبتدأ إلى إسم (الولد) وصفة (الصغير) وتقسيم الإسم إلى أداة تعريف (أل) وصفة نكرة (ولد) وهكذا حتى تنتهي الجملة. ومنها أيضا منهج الخانية أو الموقعية, المعروفة بالتاقميمية التي أنشأها عالم اللغة الأمركي "كنث بايك" ١٩١٢م) في الخمسينيات من القرن العشرين بهدف تدريب اللغويين على التحليل اللغوي لأغراض الترجمة.

يقوم هذا المنهج على أساس تقسيم اللغة إلى ثلاثة أنظمة أساسيا هي : الأصوات, المفردات, والقواعد. لكل نظام من هذه الأنظمة مجموعة من المستويات وفي كل مستوى وحدات صغرى. فنظام القواعد مثلا يندرج نحته موستويات هي : المورفيم, والكلمة, والعبارة, والجملة, والفقرة, وتحت كل مستوى وحدات نحوية صغرى ذات معنى تسمى Tagmemes والجملة في هذا المنهج قال يتكون من مجموعة من الحقول (الخانات) أو المواقع, كالفاعل. والمفعول, والمبتدأ والخبر ونحو ذلك. ولكل حقل أو موقع مالئة, وهي عبارة

[٧] غازدا وكرسنى مرجع نفسه , ص ١٤٧

[٨] العصيلي, النظريات اللغوية, والنفسية وتعليم اللغة العربية, ص.٢٤

عن نوع خاص من العناصر اللغوية التي يمكن أن تحتل تلك الحقل أو تقع في ذلك المقع. فالفاعل حقل يمكن أن تملاء با لإسم الظاهر أو بالضمير أو بالعبارة الإسمية أو بالمصدر المؤل والخبر حقل يمكن أن تملاء بالإسم الظاهر أو بالصفة أو بالعبارة الفعلية وهكذا في بقية والظائف النحوية.

ج. الإتجاه السلوكي البنوي واكتساب اللغات الأجنبية

رأينا في الفقرات السابقة كيف إقترنت النظرية ابنوية في علم اللغة, في نهاية المطاف بنظرية نفسية معاصرة لها هي النظرية السلوكية واتحدت معها بشكل أطلقنا عليه : الإتجاه السلوكي البنوي. وقد تم ذلك عل ى يد أبرز علمائها وهو ليونارد بلومفيد الذي تأثر بآراء السلوكين فيالنظرة إلى طبيعة اللغة وأساليب إكتسابها, وساعد على ذلك محاولة عالم النفس ولم يقتصر الإلتقاء بين هاتين المدرستين علىى الآراء والمبادء بل تعدى ذلك إلى مجالات لغوية تطبيقية في المتر والمدرسة وغيرهما من العوامل الخارجية التي تتحكم في نظر هؤلاء في تكوين اللغة الأم للطفل. ثم إنتقلت هذه التطبيقات إلى ميدان تعليم اللغات لأجنبية والثانية, وبخاصة تعليم الإنجليزية بوصفها لغة ثانية في الولايات المتحدة الأمركية لأن القائمين على برامج تعليم اللغات الأجنبية كانوا من السلوكيين البنيوين.

وقد ركزت برامج تعليم اللغات الأجنبية في تلك الحقبة على لغة الحديث الشفهي, فقدمت مهارة الإستماع والكلام على مهارة القراءة والكتابة, وإهتمت بتدريبات الأنماط, وخصصت جزء كبيرا من الدروس لهذا الجانب. وكان هدف من تدريبات الأنماط في نظر هؤلاء تعليم اللغة الهدف تكوين العادات اللغوية بطريقة لا شعورية من خلال تعليم القواعد من غير حاجة إلى شرح القواعد بطريقة نظرية مباشرة. نتيجة لتبنى اللغوين التطبيقيين المذهب السمعي الشفهي, نشأت طرائق وأساليب لتعليم اللغات الأجنبية, كان منها الطريقة المباشرة, والطريقة الطبعية, لكن أشهر هذه الطرائق وأوسعها إنتشارا الطريقة السمعية الشفوية, التي سيطرت على الميدان منذ أواخر الخسينيات حتى منتصف السبعييات من القرن العشرين. وتعد هذه الطريقة خير مايمثل هذا الإتجاه, ويصور الإلتقاء بين النظرية السلوكية في علم النفس والنظرية البنيوية في علم اللغة.

٢. الإتجاه العرفي في الفطري

أ. النظرية المعرفية

لم يكن الإهتمام بالنواحي المعرفية في مجال التعلم والتعليم وليد هذا العصر, بل كان هوالمنهج السائد قبل طهور النظريات النفسية المعاصرة. وقد شهد النصف الأول من القرن العشرين ظهور عدد من النظريات المعرفية التي كانت شائدة قبل ظهور النظريات السلوكية. من هذه النظريات : النظرية الكلية, الكلية, المعروفة بنظرية الجشتالت التي ترى أن إدراك المتعلم يتجه إلى الكل الذي هو نظام مترابط متسق, مكون من أجزاء

متفاعلة, وسابق لأجزائه من الناحية المنطقية, كما ترى أن التعلم الحقيقي يعتمد على إدراك العلاقات بين الأشياء والإستفادة من الخيرات السابقة في تفسير المعلومات في مواقف التعلم الجديدة. ومنها النظرية البنائية لعالم النفس السويسري Jan Piaget (١٨٩٦-١٩٨٠) التي إهتم فيها بمراحل النمو عند الأطفال وربطه بالنمو العرفي, ونبه إلى ضرورة التوازن في الإهتمام بين العوامل الداخلية والعوامل الخارجية في العملية التعليمية. وفيما يتعلق بإكتساب اللغة, يرى بياجيه

مفهوم اللغة

المعنى اللغوي للغة يعنى : الكلام الباطل الذي لا فائدة فيه, يقول رسول الله ص (من مس الحصا فقد لغا, ومن لغا فلا جمعة له). ومعنى لغا أي الكلام ومنه قوله تعالى (وإذا مروا باللغو مروا كراما). (الفرقان, اية : ٧). أما مفهوم اللغة الإصطلاحي, فقد عرفه الباحثون بتعريفات كثيرة, إلا أنها جميعا لا ترتبط بالمعنى اللغوي إلا في جانب واحدا, وهو أنها كلام, كما أن تعريفات الإصطلاحية كلها تصور أو أكثر من وظيفة اللغة. فإبن جني عرفها بأنها (أصوات يعبرها كل قوم من أغراضهم).[٩] وإبن خلدون عرفها بأنها (ملكات في اللسان للعبارة عن المعنى....فلكل قوم بحسب إصطلاحاتهم.[١٠] وعرف الأمريكي (ادوارد سابير) الكلام بأنه (وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان, وغير عزيزية فيه, تمكنه من تبادل رموز صوتية إصطلاحية تصدرها أعضاء النطق إراديا باندفاع الهواء خلالها, كما أنها غير غريزية لأنها مكتسبة, ولا يصطلح عليها قبل تلقينها أو تقليدها. وعرفها أحد المحدثين بأنها : (نظم متوافقة من الرموز الصوتية الإرادية العرفية لتلبية الإ حتجات الفردية والإجتماعية.

وتشتكل تعاريف السابقة للغة على ثلاثة جوانب لها وهي:

١. الطبيعة الصوتية للغة

٢. الوظيفة الإجتماعية في التعبير ونقل الفكر

٣. أنها تستخدم في مجتمع, فلكل قوم لغتهم

وقد عرفها صلاح مجاور اللغة بأنها : إستعمال مقصود شعوري لأي صوت أو رمز أو إشارة أو علاقة, لنقل حقيقة أو فكرة أو شعور أو إنفعال من فرد إلى اخر أو من جماعلة إلى أخرى.[١١] ويمكن أن تعرف اللغة تعريفا يتناسب مع هدفها التربوي من تعليم وتعلم لها, وتفق مع المهارات الخاصة لها, فنقول : إن اللغة أصوات أو رموز ذات دلالات متعددة يستخدمها الإنسان والمجتمع للتعبير عما في النفس, وعن حاجته, وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه. وهذا التعريف يشمل وسيلتي الإفهام من كلام وكتابة, ووسيلتي الفهم من

[٩].إبن الفتاح عثمان بن جني : الخصائص ج, بيروت, دار الكتاب العربي ١٩٥٢,ص.٣٣

[١٠].إبن خلدون : مقدمة, ج ١ ط٤, بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٧٨, ص ٥٥٤

[١١].محمد صلاح الدين على مجاور : تدريب اللغة العربية للمرحلة الإبتدئية الكويت : دار القلم, ١٩٧٧, ص ٩٢

إستماع وقراءة, سواد أكان هذا عن طريق الرموز المنطوقة أم الرموز المكتوبة. ومن الإتجاهات الحديثة في فهم اللغة النظرة إليها على أنها : المعنى لا الألفاظ.

فاللغة : إنما هي المعنى التي تصاغ في قوالب من الألفاظ, وليست الألفاظ التى تصب فيها المعنى, فالأصل هو المعنى واللفظ إنما هو كشف للمعنى وإبراز, وهذا ينطبق عليه قو الشاعر العربي : إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا.

العناصر التي تتكون منها اللغة

اللغة عناصر أربعة تتألف منها, ويرجع تحليل اللغة إليها وهي :

١. الأصوات : ويقصد بها الحروف التي تتكون منها الألفاظ أي الكلمات من حيث مخارجها, وصفتها, وقوانين تبدلها وتطورها, ومبث هذا العنصر : علم الأصوات والتحديد.
٢. الألفاظ : ويقصد بها الكلمات التي تتألف منها الجمل من حيث : إشتقاقها, وشكلها, ومعانيها, ومبحث هذا العنصر : علم الصرف, والمعاجم, وعلوم اللغة, و الإملاء, والخط.
٣. الجمل : ويقصد بها الجمل التي تتألف منها التراكب, وهي أيضا الجمل المفيدة اسمية كانت أم فعلية, من حيث : بناءها, وقواعد إعرابها, وتركيبها, وأنوعها, ومبحث هذا العنصر : علم النحو, والبلاغة
٤. التراكيب : ويقصد بها العبارات التي تتضمن جملتين فأثر, كما يقصد بها تراكيب اللغة, ونظم الكلام, من حيث : تراكيب أجزاء الكلام, وطريقة ربط الكلام والأدوات الرابطة, ووظائف الكلمة في التركيب, وأحوا إعرابها, ونوعية الكلام (أدبي أو علمي) وطول الكلام وقصره وتعليل ذلك كله, وصلته بنفسية المتكلم وعقلية السامع, وتطور التراكيب خلال العصور وأسيايه. ومبحث ذلك : علم النحو, والبلاغة, والأدب.

الخصائص العامة للغة

الخصائص والسمات التي تتلاقي عليها لغات العالم يمكن حصرها وبلورتها في العناصر التالية :

١. أنها بدأت صوتية ثم صارت رمزية مقروءة. فالإنسان في بداية حياته من لدن ادم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها, يبدأ لغته بالنطق الصوتي, ولماتعقدت أمور الحياة, وبعدت المسافات بين الناس اخترعت الكتاب, ولكل لغة رموزها الخاصة بها منطوقة أو مكتوبة. ورموز اللغة العربية هي حروفها : أ ب ت ث, ورموز اللغة الإنجلزية a b c وظاهرة التعبيرات الصوتية مشتركة بين الإنسان والحيوان والطير, ولكن الكلام هو أرقى التعبيرات الصوتية وهي خاصة لاتوجد إلا عند الإنسان وحده.
٢. أن اللغة نظام صوتيا ورمزيا : فبالرغم من أن لكل لغة نظامها الخاص بها نطقا أو كتابة, إلا أن اللغات جميعا تشترك في أن لها نظاما. ولا توجد لغة ليس لها نظام, فالنظام الصوتي يتمثل في النطق الصحيح

للأحرف, وإخراج كل حرف من مخرجه, والنظام الرمزي في كتابة كل حرف. في كل لغة بشكل معين– كما سبق أن بينا–وأشكال مختلفة حسب موقعه من الكلمة.

٣. أنها مكتسبة : فالفرد يكتسب لغته من البيئة التي يولد فيها وينشأ فيها, فلو ولد طفل عربي ونشأ في بيئة عربية لاكتسب اللغة العربية من ابيئة نشأ فيها.

٤. أنها إجتماعية لا تنشأ من فراغ : إن اللغة لا توجد إلا في مجتمع, فلو نشأ طفل في مكان منعزل ولم يختلط بأي إنسان لنشأ هذا الطفل وليست له لغة ينطقها, والدليل على ذلك ما حدث للطفلة (جني) التي نشأت في غاية عندما سقطت الطائرة التي كانت نقلها ونجت وحدها من الموت, وقامت قردة بتربيتها, ولما عثر عليها وقد جاوزت الثانية عشرة من عمها, لم تكن لها لغة بشرية تنطقها وإنما أصوات كأصوات القردة, وهذا أكبر دليل عن أن اللغة لا توجد إلا في مجتمع إنساني : فألفاظ أي لغة لها معنى تدل عليه, فاللغة تجعل للمعارف والأفكار الإنسانية قيمة إجتماعية بسبب إستخدام المجتمع لها للدلالة على معارفه وأفكاره.[١٢]

٥. أنها نامية وحية : بمعنى أنها في تفاعل مستمر على مر الأزمان, فهي نامية وحية في نفسها : تدخلها كلمات واستعمالات جديدة, وتخرج منها كلمات وإستعمالات لم يعد المجتمع يستخدمها فكم من إستعمالات لغوية إنقرضت, وكم من إستعمالات لغوية جدت, فاللغة عنوان أهله,تحيا بحياتهم, وتموت بموتهم, وتتقدم وتتطور بتقدم وتطور هم, وتضعف وتتخلف بضعفهم وتخلفهم.

٦. أنها وسيلة للتفكير : فالإنسان عندما يفكر إنما يفكر باللغة, يصوغ أفكاره في ألفاظ, فالمتكلم يمر كلامه بأربع مراحل : الإستثارة, ثم التفكير, ثم الصياغة, ثم النطق. وكل هذه المراحل لا تستغرق جزاء من الثانية, فالإنسان عندما يفكر في معنى مثا الأمانة إنما يفكر بإستخدام حروف هذه الكلمة, ثم يصوغ الحروف في كلمة ثم ينطقها وصدق الشاعر : إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا, وبهذا يمكن القول إن اللغة وسيلة للتفكير. وينبغي ملاحظة أن هناك فريقا بين اللغة كوسيلة للتفكير بها تدرك المعاني العقلية, وبين اللغة كأداة للتعبير عن هذا المعني, فهي كوسيلة للتفكير تكون قبل النط بها, وهي كأداة للتعبير وتكون بعد النطق بها أو كتابتها, كما أنها قبل النطق بها أو كتابتها تظل محبوسة, ولاتنفس عن صاحبها, ويمكن تعديلها, ويحكمها الإنسان ولا تحكمه, أما بعد النطق بها فهي تغلص الفرد من إنفعالاته النفسية, كي يهدأ ويستريح نفسيا, ولايمكن تعديلها, وتحكم الإنسان, وتصير حجة عليه, وملزمة له, ولذلك قالوا : في الحكم, (لسان العاقل وراء قلبه. (أي يفكر قبل أن ينطق) وقلب الأحمق وراء لسانه (أي ينطق قبل أن يفكر)

[١٢] د أحمد فؤاد عليان, المهارات اللغوية, دار المسلم, رياض, ٢٠٠ ص.١٤

٧. أنها تحمل معنى : فاللغة التي لا تحمل معنى لا تستحق أن تسمى لغة, بل هي مجرد أصوات جوفاء تسمى (هزيان أو خترفة) مثل كلام النائم, والمجنون, ومن هو تحت تأثير البنج وغيرهم. ولذلك يمكن القول إن أصوات الحيوانات لاتسمى لغة, لأنها مجرد أصوات لا تعطى دلالات مختلفة, والقران ذكر أنها منطق وليست لغة يقول الله سبحانه وتعالى (وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير...)

٨. أنها إنسانية : أي أنها خاصة بالإنسان, فاللغة بحروفها المنطوقة والمكتوبة ولاتوجد إلا عند الإنسان فالله جل جلاله ميز الإنسان عن سائر المخلوقات باللغة, ولايقال إن سائر المخلوقات لها لغة بدليل قوله الله تعالى : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم). (لإسراء, أية :٤٤), لأن أصوات الحيوانات والطيور عبارة عن تموجات صوتية أثيرية لاتعطي دلالات متعددة, ولاتختلف بين حيوان اخر من جنس واحد, ولا تختلف من مكان إلى مكان, ولكن الأصوات عند الإنسان تختلف من إنسان لإنسان, ومن مكان إلى مكان في النغمة والدلالة والتعبير, وتلك نعمة أنعم الله بها على الإنسان, تستحق الحمد والشكر الله تعالى.

أسرار اللغة

لم ينجز الإنسان عبر تاريخه الطويل شيئا مبدعا, وأكثر تأثيرا في حياته من إنشائه اللغة, وإستعمالها من أجل إتصاله الفردي والجماعي. بتعليم الله تعالى له. فهو باللغة حقق وجوده وتطوره, ومن خلالها إكتسب إستجابات إجتماعية من الأفراد والجماعات فباللغة إستطاع أن يكتسب ثقافة وحضارة, وقيما وفهما, ومثلا وإتجاهات, وبها يفكر في حل مشكلاته, فاللغة بلا شك تمسك بماتيح التحصيل والمعرفة. واللغة في شكلها الملفوظ والمكتوب أداة عجيبة, تنتقل بها الأشياء التي تقع عليها حواسنا إلى أذهاننا, كذلك ينتقل كل ما في الذهن من خواطر ومشاعر وأفكار إلى الأخرين, وينتقل من الماضي إلى الحاضر, ومن الحاضر إلى المستقبل, ومن مكان إلى مكان, ومن جيل إلى جيل, واللغة تقرب البعيد, وتوضح المبهم, وتجعل المعنوي محسوسا, والمجهول معلوما. إلى غير ذلك من أسرار اللغة.

فاللغة هي الجسر الذي يصل بين الحياة والفكر, تسبق وجود الأشياء تارة بالتفكير فيها وتلحق وجود الأشياء تارة أخرى, بالتعليق عليها والحديث عنها, فالفكرة التي تجول في الذهن مجردة, تتحول إلى صياغة منطوقة أو مكتوبة وعن طريق هذه الصياغة تنتقل إلى أذهان الآخرين وتلك هي اللغة. ولكن صياغة الفكرة قد تتمثل في كلمة, كانت الكلمة رمز الخلق ةالإيجاد وهي كلمة (كن) وقد ورد في القران الكريم ما يدل على هذا يقول الله تعالى (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون). (يس أية ٨٢). و الكلمة لا تعني اللفظة الواحدة من إسم أو فعل أو حرف, وإما قد تعني الكلام الكثير يقول إبن مالك في ألفية : كلامنا لفظ مفيد كاستقم, وإسم وفعل ثم حرف الكلام, واحدة كلمة والقول عم, وكلمة بها كلام قد يؤم.

أي وكلمة قد يقصر بها كلام. وقد ورد في القران ما يدل على ذلك في الحديث عن ندم الإنسان العاصي يقول الله تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون, لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها...) (المؤمن أية : ٩٩-١٠٠). وورد في القران أيضا الكمة بمعنى العذاب يقول سبحانه (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون) (يونس, اية : ٩٦). وقوله تعالى : (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) (الزمر, اية : ٧١) كما تعنى الكلمة الخلق والإيجاد بقول الله تعالى (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله, وكلمته ألقاها إلى مريم) (النساء اية : ١٧١), فهو سبحانه يعنى بالكلمة خلق المسيح عيسى بن مريم.

ولما كانت اللغة لها هذه الأهمية في الحياة, كانت اللغة أداة السحر و البلاغة والفصاحة عند العرب, وجاء القران ببلاغته وفصاحته متحديا لهم, ويعد اللسان أداة أساسية للغة المطوقة وقد عرف العرب قديما أهيمة اللغة المنطوقة لاعتمادهم عليها, لذلك جعلوا اللسان نصف الحياة الإنسانية, يقول زهير بن أبي سلمي: لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم. وكل هذا يكشف لنا بعض أسرار اللغة التي هي نصف الحياة الإنسانية, وتميز الإنسان عن غير من سائر المخلوقات.

وظائف اللغة

إن اللغة وظائف متعددة, منها ما هو متعلق بالفرد نفسه, ومنها ما هو متعلق بعلالاقة الفرد بالمجتمع, ويمكن حصر هذه الوظائف فيما يلى :

أ. وظيفة اللغة للفرد

١. وظيف شخصية : ويقصد بها قدرة وإمكانية الشخص (المتحدث أو الكاتب) على التعبير عن أفكاره الداخلية, وما يود إرازه من حقائق ومفاهيم, ومدركات لديه, بالأضافة إلى قدرته على التعبير عن عواطفه ومشاعره من : حب, أو بغض, أو سرور, أو حزن.....كما أن لكل شخص لغة خاصة به, في أسلوبه ونبرات صوته حتى أنه تعرف شخصية الإنسان من خلال صوته دون أن يرى عن طريق الهاتف مثلا, ولقد أثبت العلم الحديث أن لكل إنسان بصمة صوتية تختلف من إنسان لآخر, ولا يتفق فيها إنسان مع إنسان, مثل بصمة اليد, وصدق الله العظيم : (من ايته خلق السموات والأرض, واختلاف ألسنتكم وألوانكم) (الروم, اية : ٢٢).

٢. وظيفة نفسية : إن اللغة تؤثر في أدائها على نفسية الإنسان تأثيرا قد يكون مشجعا ومعززا, رافعا لمعنوياته, وقد يكون مثبطا, وخافضا للروح المعنوية, ذلك أن القدرة اللغوية وإستعمالها بنجاح تجعل الفرد سويا في نفسه, فالإنسان قد يشعر بالخجل, أو الخوف الذي يعجزه عن أداه اللغة أداء سليما, وقد إستخدمت اللغة كوظيفة في العلاج النفسي لتحديد وتشخيص ما يشكو منه المريض من إكتئاب أو ضيق أو

إضطراب أو عصبية, عن طريق كلامه عن نفسه. ولذا يجب تشجيع الأفرد المنعزلين الخجولين على الكلام, فتحل مشاكلهم بما يحقق لهم شيئا من المهارة في الإستعمال اللغوي.

٣. وظيفة تثقيفية : وهي التي تستخدم في التعليم والتعلم, فعن طريقها يقرأ الفرد ما كتبه الكاتبون (قديما وحديثا) وعن طريقها يستمع الفرد إلى معلمه, أو يعلم بها غيره فهي وظيفة متعلقة بالفرد في خصوصيتها, ومتعلقة بالمجتمع في عموميتها ووظيفة اللغة التثقفية تسير مع الفرد من المهد إلى اللحد ولا يستغنى عنها إنسان.

ب. وظيفة اللغة للمجتمع

١. وظيفة إجتماعية تبادلية : ويقصد بها إستخدام اللغة في معاملات الناس اليومية : في المنزل, والشارع, والنادي, والأسواق, ودواوين الحكومة وغيرها, وهي وظيفة هامة اللغة, فلايمكن أن تقضي المصالح, أو يتم التفاهم بين أفراد المجتمع إلا بتبادل اللغة فيما بينهم نطقا وإستماعا, وكتابة وقراءة, وهذه الوظيفة ذات جانب إجتماعي كبير, لأن اللغة إجتماعية على أساس أنها لا توجد إلا في مجتمع أنها تختلف من من مجتمع لمجتمع, إلا أنها فردية في تراكيبها, وطرق إستعمالها, بصورة تختلف من إنسان لإنسان من حيث : الصياغة, والأداء, والإستخدام, والتنغيم الصوتي وطريقة الكتابة, فلكل فرد لغته الخاصة به. فاللغة إجتماعية من ناحية, وفردية من ناحية أخرى.

٢. وظيفة توجيهية : وهي وظيفة يقتضيها المجتمع المتحضر, ولا غنى عنها في الحياة, سواء في نطاق الأسرة أم في الحياة بوجه عام, فيها يوجه الأب أبناءه والأم بناتها, وبها تنظم الحياة بين المسئولين وعامة الناس من خلال الإرشادات المنطوقة والمكتوبة, بها يوجه رجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الناس إلى الخير وما يصلحهم في الدين والدنيا, وبها يوجه رجال الشرط الناس في المرور والتنظيم, وبها يوجه رجال التعليم طلابهم إلى أفضل وسائل التعليم وأنفعها إلى غير ذلك مما لا يستغنى عنه الناس في حياتهم.

٣. وظيفة حفظ ونقل : وهي وظيفة تثقيفية أيضا, يستخدمها الأفراد والمجتمع في إكتساب الثقافة, وأخذها من الماضين والحاضرين وتوصيلها إلى أجيال المستقبل, فاللغة تحتفظ بالتراث الثقافي في التقاليد الإجتماعية, وتنقلها من جيل إلى جيل.

المراجع والمصادر

د. محمود فهمى حجازى, علم اللغة العربية مدخل تارخي مقارن, القاهرة

د. إبراهيم أنيس, دلالة الألفاظ, مكتبة الأنجلو المصرية العصيلي, النظريات اللغوية النفسية وتعليم اللغة العربية

للدكتور عبده الراجحي بحث مفصل حول هذا الموضع في كتابه : علم اللغة
التطبيقي وتعليم اللغة العربية, مطابع جامعة الإمام محمد الإمام محمد بن سعود الإسلامية
لمزيد من الإطلاع على هذه الإتجاهات يمكن الرجوع إلى كتابنا : النظريات اللغوية والنفسية وتعلم اللغة العربية
جورج غازدا, ويموند كورسيني, نظريات التعلم, دراسة مقارنة, عالم المعلرفة
غازدا وكرسنى مرجع نفسه العصيلي, النظريات اللغوية, والنفسية وتعليم اللغة العربية

إبن الفتاح عثمان بن جني : الخصائص ج, بيروت, دار الكتاب العربي

إبن خلدون : مقدمة, ج ١ ط٤, بيروت : دار الكتب العلمية

محمد صلاح الدين على مجاور : تدريب اللغة العربية للمرحلة الإبتدئية الكويت : دار القلم

د أحمد فؤاد عليان, المهارات اللغوية, دار المسلم, رياض